

تجليات المكان في رواية نجوى بن شتوان

د. الهادي البشير أبو راوي
كلية العلوم الشرعية - المحجوب

الملخص

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد: فقد شهدت الرواية الليبية تطوراً كبيراً مما جعلها تفرض نفسها على أجناس الكتابة العربية خلال المشهد الأدبي الليبي، غير أن هذا الأمر لا ينفى وجود تذبذب في المسيرة الروائية، إلا أن المتأمل لحركة النقد والابداع يلحظ ظهور مؤشرات وبنادر تشير بازدهار هذا الفن، الذي تجسد في بروز بعض الأسماء الروائية التي بدأت تفرض نفسها روائياً مثل: إبراهيم الكوني، وعبد الله الغزال، أحمد الفقيه في هذا المجال، وتعدّ رواية نجوى بن شتوان فضاءً نصياً تتحرك الدراسة باتجاهه حيث تدور أحداثه في منطقة ما بين إجدابيا ووزان في شارع يسمى بشارع عبدالله العابس، لتحكي قصة فتاة اسمها ((عويشة)) . وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى:

- مقدمة: اشتملت على "بيان أهمية الموضوع".
- ومدخل: اشتمل على توضيح للدخول في هذه الرواية.
- وبناء المكان الروائي: اشتمل على أهمية المكان وما يكتسبه في الرواية، لأنه أحد عناصرها الفنية.
- وعلاقة الوصف بالسرد.
- وطبيعة الوصف.
- ووظيفة الوصف.
- ووظيفة المكان: ويشتمل - المكان المجازي - المكان الهندسي - المكان بوصفه تجربة.
- وتقنية المكان في الرواية، وأقسامه الثلاثة وهي أماكن رئيسية (محورية)-أماكن مؤقتة - أماكن دائمة(ثابته) وهي تنقسم إلى قسمين: -
- فضاء مرجعي عام - فضاء مرجعي خاص والأماكن الثانوية، وتنقسم إلى:
- الفضاء الثانوي المؤقت (المتغير)
- الفضاء الثانوي الدائم (الثابت)، وهو ينقسم إلى قسمين:
- فضاء ثانوي عام: وينقسم إلى قسمين:
- فضاء عام مفتوح بإطلاق.
- فضاء عام مفتوح بعيد.
- فضاء ثانوي خاص.
- وأماكن مهمة (مهملة)
- وجدول احصائي يوضح الفضاءات المكانية في الرواية.
- ومخطط يوضح شكل الفضاءات المكانية.
- وخاتمة ضمت أهم النتائج المحصلة من الموضوع المبحوث، والله أسأل التوفيق

استلمت الورقة بتاريخ 2024/01/04
وقبلت بتاريخ 2024/3/20
ونشرت بتاريخ 2024/04/26

Praise be to God, Lord of the Worlds, and may blessings and peace be upon the most honorable of the prophets and messengers, our Master Muhammad the Truthful and

Trustworthy, and upon all his family and companions.
 And after: The Libyan novel has witnessed great development, which has made it impose itself on the genres of Arabic writing during the Libyan literary scene. However, this does not deny the presence of fluctuation in the novelistic process. However, anyone who contemplates the movement of criticism and creativity notices the emergence of indicators and signs indicating the flourishing of this art, which embodies... In the emergence of some novelist names that have begun to impose themselves as novelists, such as: Ibrahim Al-Koni, Abdullah Al-Ghazal, and Ahmed Al-Faqih in this field, Najwa Bin Shatwan's novel is considered a textual space towards which the study is moving, as its events take place in an area between Ajdabiya and Fezzan in a street called Abdullah Al-Abs Street. To tell the story of a girl named ((Awisha)).

The nature of the research required it to be divided into:

Introduction: It included a statement of the importance of the topic.

Introduction: It included an explanation of the introduction to this novel.

Building the novelistic place: It included the importance of the place and what it acquires in the novel, because it is one of its artistic elements.

The relationship between description and narration.
 And the nature of the description.
 And the description function.

The function of place: It includes - the metaphorical place - the geometric place - the place as an experience.

The technique of place in the novel, and its three sections, which are main (pivotal) places - temporary places - permanent (repentent) places, which are divided into two parts- :

- General reference space - private reference space

And secondary places, divided into:

- Temporary secondary space (variable)
- The permanent (fixed) secondary space, which is divided into two parts:

- General secondary space: It is divided into two parts:
 - Open public space.
 - A remote open public space.
 - Private secondary space.

Important places (neglected)

A statistical table showing the spatial areas in the novel.

A diagram showing the shape of spatial spaces.

A conclusion included the most important results obtained from the researched topic.

I swear to God, I ask for death

المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد الصادق الأمين، وعلى آله ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.
أما بعد،،

قد شهدت الرواية الليبية تطوراً ملحوظاً مما جعلها تفرض نفسها من أجناس الكتابة داخل المشهد الأدبي الليبي، وإن كان هذا لا ينفي وجود تذبذب في هذه المسيرة الروائية، لعل ذلك يعود إلى النفس القصير لبعض الروائيين الليبيين الذين يتوقفون عند كتابتهم لنص أو نصين، ولعلنا يمكن إرجاع هذا القصور إلى عدة أسباب نذكر منها ضعف حركة النشر والإعلام، وتأخر الاعتراف الثقافي والاعتراف الأكاديمي بالرواية على اعتبارها جنساً منسجماً من الأجناس الأدبية الأخرى، بالإضافة إلى قصور النقد الأكاديمي الجاد عند مواكبة هذا النمط الإبداعي وإثرانه.

إلا أن المتأمل لحركة النقد والإبداع مؤخراً يلحظ ظهور مؤثرات وبوادر تشير بازدهار هذا الفن، الذي تجسد في بروز بعض الأسماء الروائية التي بدأت تفرض نفسها على النطاقين الإقليمي والعالمي روائياً، وليس جديداً التذكير بتجربة كل من الروائيين: إبراهيم الكوني، أحمد إبراهيم الفقيه، وعبدالله الغزال في هذا المجال.

أما على الصعيد النقدي فقد بدأت الدراسات الأكاديمية في السنوات الأخيرة تأخذ طريقها إلى التعريف بالرواية الليبية في الداخل والخارج، متجاوزةً مرحلة النقد الصحفي الذي وقف عاجزاً عن مواكبة تطورها؛ لاتصافه بالاستعجال من جهة، ولغياب الأداة النقدية المنهجية الواضحة لديه من جهة أخرى.

وبالانتقال إلى خصوصية هذه الدراسة البحثية بشكل أكبر فإنها تنشئ محادثة نظرية السرد بوجه عام، ومن ثم فهي تتغيا إثراء الدرس النقدي حول الرواية الليبية بوجه خاص، والأهم من ذلك محاولة كسر السائد عبر انتزاع اعترافٍ أكاديميٍّ بالفن الروائي.

ولمقاربة الرواية الليبية، فإن المهم تحديد فضائها النصي، وإطارها الزمني، ولتحقق هذه الغاية وقع الاختيار على تجربة نسائية تمثلت في رواية (وبر الأحصنة) لـ(نجوى بن شتوان) لتكون فضاءً نصياً تتحرك الدراسة باتجاهه، ويقوم هذا البحث على دراسة سردية من خلال عناصر السرد المتمثل في: الزمن، المكان، الحدث، الشخصيات، الراوي.

وهذا البحث تمثل في العنصر الثاني من عناصر السرد المتمثل في المكان وأسْمَيْتُهُ تجليات المكان في رواية نجوى بن شتوان.

المدخل

عند قراءتنا للرواية في أول مرة، لم نستطع أن نفهم ما الذي تريد أن توصله لنا الروائية من خلال هذا النص، أو بالأصح من خلال هذه النصوص المتفرقة مع الكم الوفير من الثقافة الليبية؟
فالقصة المحورية تدور أحداثها في منطقة ما بين اجدايبا وقران في شارع يسمى بشارع عبدالله العابس، لتحكي قصة فتاة اسمها (اعويشة).

كانت الفتاة طفلة عندما تم تزويجها من رجل يعمل رئيساً للعمال في مشروع يسمى بمشروع (طريق العابس)، وهي لم تبلغ من العمر سوى ثلاثة عشر عاماً، ومن هنا تبدأ رحلة الألم والعذاب والقهر والمعاناة للفتاة، فالزوج كان مسؤولاً عن عمال في طريق عبدالله العابس، فمن منطلق مكانته الرئيسية القيادية والأمر في العمل أصبح يمارس سلطته على زوجته في المنزل، إلا أنه تبين لنا أن الروائية كانت جريئة حادة، جادة مخصصة في عرض قضايا هذه الرواية الواقعية، لتثير من خلالها تساؤلات حائرة مهمة تتعلق بالكتابة النسائية، فالكاتبة قدمت صورة من صور الرفض المريض للمجتمع العربي الذكوري الذي أثار حسدهن وغيرتهن نتيجة التفرقة بين الذكر والأنثى، وقد أفاضت الكاتبة - من خلال الرواية- سرد ألوان العذاب والألم والقهر الذي تعانيه المرأة العربية، مقابل السطوة والجبروت الذي يمارسه الرجل، ولكنها في نهاية الرواية جعلت الصبي في تهافته للبحث عن والده - عندما أحس بموت أمه- رمزاً لتفاهة وعدم مواجهة المسؤولية بالنسبة إلى أخواته البنات.

لقد أثارت الكاتبة أسئلة حول النوع الأدبي لروايتها الذي وصفته في عنوان فرعي "نصوص في التكوين والنشأة" عرضت من خلالها قضايا الحياة وحقائق الموت، زاخرة بكنوز من التراث الشعبي الليبي (شعراً ونثراً) ثقافة وقصصاً، وأغاني وأمثالاً، وأقوالاً وأفعالاً، وعادات وتقاليد.

وتأتي مصداقية وواقعية الكاتبة في إثارة مشاكل المجتمع العربي من خلال وطنها، في نقد اجتماعي تمثل في أسئلة فلسفية ساخرة حول نشأة الوجود الإنساني، تجلت فيها المفارقة في ثلاثة مستويات:
الأول: هذا المزيج الرائع لوصف فلسفة الحياة قبل حصولها، إذ تروي قصة الحياة والموت على لسان راويتها وهي جنينة في بطن أمها.

الثاني: المزج بين ألوان بدائية وتخلف المجتمعات العربية في غرابتها ونفورها عن تقديم المجتمعات الحديثة.
الثالث: المزيج الفلسفي الساخر الذي يصور أمراض الحياة الاجتماعية اليومية، إضافة إلى ما يتعلق بالعادات والتقاليد، وما يتعارف عليه في ما يخص الخطبة والزواج وتربية الأولاد.

وقد تدرجت هذه المفارقة من بداية الرواية حتى نهايتها، في فلسفة ساخرة تضم جوانب الرواية من خيال واسع في تصوير ساخر لحال آدم وحواء منذ بدء الخليقة، إلى براعة في الحكى الساخر (هابيل وقابيل)، إلا أننا نرى الكاتبة قد أسرفت في نقد ذاتها خلال نقد وطنها ومجتمعها، أملاً منها في الوصول إلى الأفضل، فتمردتها هو التمرد الذي يدفع بها إلى انتهاج النقد الموضوعي البناء من منطلق الحرص على مقدرات الوطن الحبيب.

وفي هذا الإطار يمتزج الأمل بالألم، والتفاؤل بالتشاؤم، وقبح الحاضر بجمال المستقبل المأمول.

بناء المكان الروائي:

يكتسب المكان في الرواية أهمية كبيرة، لا لأنه أحد عناصرها الفنية، أو لأنه المكان الذي تجري فيه الحوادث، وتتحرك خلاله الشخصيات فحسب، بل لأنه يتحول في بعض الأعمال المتميزة إلى فضاء يحتوي كل العناصر الروائية بما فيها من حوادث وشخصيات، وما بينها من علاقات يمنحها المناخ الذي تفعل فيه، ويُعبر عن وجهة نظرها، ويكون هو نفسه المساعد على تطوير بناء الرواية، والحامل لروية البطل، والممثل لنظر المؤلف، وبهذه الحالة لا يكون المكان كقطعة قماش بالنسبة إلى اللوحة، بل يكون الفضاء الذي تصنعه اللوحة، فالمكان ليس عنصراً زائداً في الرواية، فهو يتخذ أشكالاً ويتضمن معاني عديدة، بل إنه قد يكون - في بعض الأحيان - هو الهدف من وجود العمل بأكمله⁽¹⁾.

حيث أن المكان في الرواية هو المكان اللفظي المتخيل، أي المكان الذي صنعه اللغة انصياعاً لأغراض التخيل الروائي وحاجاته⁽²⁾.

فالنص الروائي يخلق عن طريق الكلمات مكاناً خيالياً له مقوماته الخاصة وأبعاده المتميزة⁽³⁾، وإذا كانت نقطة انطلاق الروائي في التقاليد الواقعية هي الواقع، فإن نقطة الوصول ليست هي العودة إلى عالم الواقع، إنها خلق عالم مستقل له خصائصه الفنية التي تميزه عن غيره، وعندما يستعين الروائي بوصف المكان أو تسميته فهو لا يسعى إلى تصوير المكان الخارجي، وإنما يسعى إلى تصوير المكان الروائي، وأي مطابقة بينهما مطابقة غير صحيحة، وما استعان به الروائي بالتسمية أو الوصف إلا لإثارة خيال المتلقي⁽⁴⁾.

وقد تحول المكان في النص الروائي إلى مادة حكائية لتلاحق الأحداث والحوافز، فقد كان عنصراً فاعلاً في تطور الأحداث وبنائها، وفي طبيعة الشخصيات التي تتفاعل معه.

فقد تحول الفضاء المكاني في الرواية إلى فضاء يتسع لبنية الرواية، ويؤثر فيها من خلال زاوية الراوي الذي يسرد الأحداث، عدا مهمته الأولى ألا وهي وصفه مكان وقوع الأحداث.

أ- علاقة الوصف بالسرد:

يأتي الوصف ملتصقاً بالسرد في وحدات متضافرة، فالنص الروائي في جملته ينقسم إلى مقاطع وصفية ومقاطع سردية، فتتناول المقاطع السردية للأحداث تدل على سريان الزمن، ويمكنها من عرض الأشياء متحركة، أما المقاطع الوصفية فتتناول تمثيل الأشياء الساكنة⁽⁵⁾.

فالوصف أصبح في الرواية الجديدة النص الأساسي، لكنه اتخذ وظيفة سردية خاصة (خادمة للسرد)، وذلك أغفله النقاد زمناً طويلاً واعتبروه عنصراً مقمماً على السرد أو عنصراً تابعاً له⁽⁶⁾.

ويمكن أن نتصور مقاطع وصفية في الرواية على نحو وصف الجنين لمظهره وعالمه الذي يغوص فيه وهو في رحم أمه: "ثمة حبل ذليل كان يشنقني من بطني أسبح به كمن يتعلم الغوص وأستمد منه الطعام خلال إقامتي الجبرية في ظلمات البطن... فأنا بلا عيين، نموي يلزمه ظلام مطبق تحت الجلد..."⁽⁷⁾.

وإن كان الملاحظ على هذا الوصف أنه يوحي بالحركة، وخاصة في استخدام الأفعال مثل: أسبح - أستمد.

ب- طبيعة الوصف:

يشكل الوصف في القصة حيزاً مهماً، فهو يخلق شيئاً من الراحة عندما يوقف سارد القصة سير الأحداث ليضعها أمام مشهد أو مجموعة مشاهد.

فيعرف الوصف بأنه "وسيلة تعبيرية تتخذ من الشخوص والأمكنة والأشياء والحالات والمواقف موضوعاً لها"⁽⁸⁾، وبهذا يمكن التمييز بين نصوص تصف الشخوص، ونصوص الأمكنة والأشياء، وأخرى تصف الحالات الاجتماعية والنفسية، وما يترتب عليها من مواقف.

ووصف عنصر من عناصر الواقع الروائي يعني تسميته وتعريفه، فالتسمية تسمح بتعيين العنصر المراد إبرازه، كما تتيح فرصة انتقالية من بين عناصر أخرى قريبة منه مثل: شارع، منزل، وغيرهما.

أما التعريف فيمكن للواصف من الخصائص المميزة لهذا العنصر بتقديم تفاصيل عن مكوناته وعما يخال به العناصر الأخرى بتقديم بعض خصائصه مثل: جبل عالٍ، شاطئ العلو، بالتعبير عن الانطباع والأحاسيس التي يثيرها الواصف⁽⁹⁾.

(1) انظر بنية الشكل الروائي (القضاء - الزمن - الشخصية)، حسن بحراوي، (المركز الثقافي العربي، بيروت - الدار البيضاء، ط:1، 1990م)، ص: 33.

(2) انظر بناء الرواية السورية، سمر روجي الفيصل، (اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط:1، 1995م)، ص: 251.

(3) انظر دراسات أدبية بناء الرواية، سيزا أحمد قاسم، ص: 74.

(4) انظر المصدر السابق، ص: 78.

(5) انظر دراسة أدبية بناء الرواية، سيزا أحمد قاسم، ص: 80-83.

(6) انظر المصدر السابق، ص: 83.

(7) الرواية، ص: 100.

(8) تعريف النص الوصفي، الموسوعة الحرة، شبكة المعلومات الإنترنت.

(9) انظر تعريف النص الوصفي، الموسوعة الحرة، شبكة المعلومات الإنترنت.

ونظام الوصف للمكان يتحدد بمعياريين وهما: نوع المكان الموصوف، ونظرة الواصف لهذا المكان (الرؤية الشمولية)، مع طبيعة هذا الوصف هل كان متحركاً (يتقدم ويتأخر - يدور حول نفسه - يصف الشمال إلى اليمين من الأعلى إلى الأسفل)، أو كان في مكانه ثابت، فيوجه النظر وجهة تناسقية من العام إلى الخاص (رؤية تباعدية)⁽¹⁾. وقد اقترن الوصف منذ البداية بتناول الأشياء في أحوالها وهيئاتها كما هي في العالم الخارجي، وتقديمها في صورة تعكس المشهد وتحصر كل الحرص على نقل المنظور الخارجي أدق نقل⁽²⁾.

ج- وظيفة الوصف:

كان في الماضي يُنظر إلى الوصف على "أنه زخرف من الزخارف يتضمن وظيفة جمالية، في حين أنه قد يحمل معاني ودلالات أبعد من مجرد تمثيل الأشياء"⁽³⁾، لكن بلغ الوصف في الرواية قيمة بالغة الأهمية والحضور على أيدي فنانين وبارعين أكسبوا الوصف وظيفة يمكن تسميتها ب(الوظيفة التفسيرية)؛ ذلك أن مظاهر الحياة الخارجية من مدن ومنازل وشوارع وأدوات... إلخ، تذكر لأجل الكشف عن حياة الشخصية النفسية وتشير من خلاله إلى مزاجها وطبائعها، كما للوصف أثر مباشر أو غير مباشر في تطور الحدث، وبهذه الطريقة تلتحم العناصر المكونة للعمل الروائي، وتكتمل الوحدة العضوية للعمل وتصبح الأجزاء المختلفة مرآة تعكس بعضها لتقديم الصورة المجسمة⁽⁴⁾.

أما الوظيفة الثالثة التي يؤديها الوصف فهي (الوظيفة الإبهامية)، حيث يُدخل العالم الخارجي بتفاصيله الصغيرة في عالم الرواية والتخييل، ويشعر القارئ بأنه يعيش في عالم الواقع لا عالم الخيال، ويخلق انطباعاً بالحقيقة أو تأثيراً مباشراً بالواقع⁽⁵⁾.

ويمكن استخلاص ارتباط الوصف بعدة عوامل نذكر منها:

- طبيعة الموصوف الذي قد يكون شيئاً مادياً، أو انفعالاً ومشاعر.
 - زاوية النظر التي يختارها الواصف لتقديم الموصوف.
 - علاقة الواصف بما يصفه من أشياء وأمكنة وشخصيات، ثم الطريقة التي يعرض بها.
 - الوسيلة المستعملة في الوصف وهي (اللغة) بألفاظها، وتركيبها، وتعابيرها البلاغية من تشبيه، واستعارة، ومجاز.
- فالواصف يقوم على مبدئين متناقضين هما: الاستقصاء، والانتقاء، وقد قامت الخلافات بين الكتاب على أيهما أكثر واقعية، وأيهما أكثر تعبيراً، فهناك من يرى أن الوصف قائم على الاستقصاء، ولم يتركوا تفصيلاً من تفاصيل المشهد إلا وذكره، وفي المقابل هناك من يرى أن الوصف القائم على التفصيل يحد خيال القارئ ويقتله، فكانوا يفضلون الخطوط العريضة الموحية⁽⁶⁾.

وظيفة المكان في الرواية:

في الرواية التقليدية يظهر المكان مجرد خلفية تتحرك أمامها الشخصيات أو تقع فيها الحوادث، وتلقى من الروائي اهتماماً أو عناية وهو محض مكان هندسي، أما في الرواية الرومانتيكية يظهر المكان معبراً عن نفسية الشخصيات ومنسجماً مع رؤيتها لتكون والحياة وحاملاً لبعض الأفكار.

وفي هذه الحالة يبدو المكان لو كان خزاناً حقيقياً للأفكار والمشاعر والحدوس، حيث تنشأ بين الإنسان والمكان علاقة متبادلة يؤثر فيها كل طرف على الآخر⁽⁷⁾، وفي كلتا الحالتين يظل المكان في إطار المعنى التقليدي في الرواية، ويمكن أن يعد المعنى للبنية التحتية، على حين يمكن أن يحقق المكان بنية فوقية يغدو فيها المكان فضاء وذلك عندما يسهم المكان في بناء الرواية، وعندما تخترقه الشخصيات "فيتسع ليشمل العلاقات بين الأمكنة والشخصيات والحوادث، وهي فوقها كلها ليصبح نوعاً من الإيقاع المنظم لها"⁽⁸⁾.

إن الوضع المكاني في الرواية يمكنه أن يصبح محدداً أساسياً للمادة الحكائية ولتلاحق الأحداث والحوافز، أي سيتحول في النهاية إلى مكان مكن، روائي جوهرى يحدث قطيعة مع مفهومه كديكور⁽⁹⁾. وهكذا يدخل المكان في الرواية عنصراً فاعلاً في تطورها وبنائها وفي طبيعة الشخصيات التي تتفاعل معه، وفي علاقات بعضها ببعضها الأخر.

(1) انظر المصدر السابق.

(2) انظر دراسات أدبية بناء الرواية، سيزا أحمد قاسم، ص: 80.

(3) انظر المصدر السابق، ص: 82.

(4) انظر دراسات أدبية بناء الرواية، سيزا أحمد قاسم، ص: 82.

(5) انظر المصدر السابق، ص: 82.

(6) انظر المصدر السابق، ص: 88.

(7) انظر الشكل الروائي (الفضاء - الزمن - الشخصية)، حسن بحراوي، ص: 31.

(8) بناء الرواية السورية، سمر روجي الفيصل، ص: 253.

(9) انظر الشكل الروائي (الفضاء - الزمن - الشخصية)، حسن بحراوي، ص: 31.

وإذن يمكننا النظر إلى المكان بوصفه شبكة من العلاقات والرايات ووجهات النظر التي تتضمن مع بعضها لتشييد الفضاء الروائي، فالمكان يكون بنفس الدقة التي نظمت فيها العناصر الأخرى في الرواية، لذلك فهو يؤثر بعضها ويقوي من نفوذها، كما يعبر عن مقاصد المؤلف⁽¹⁾.

"إن المكان الهندسي البحث لا يمتلك قيمة فنية، ومن هنا كان اختلاف المكان في الرواية عن المكان في الواقع الخارجي؛ لأن المكان في الرواية هو مكان معروض من زاوية الراوي والشخصيات والحوادث والأفكار، ومن خلال تفاعلها جميعاً معه"⁽²⁾. ومن هنا نجد الأردني غالب هلسا (1932م) قد ميز ثلاثة أنواع للمكان، كلاً بحسب علاقة الرواية به، وهي⁽³⁾:

1. **المكان المجازي**: وهو الذي نجده في رواية الأحداث، وهو محض ساحة لوقوع الأحداث لا يتجاوز دوره التوضيح، ولا يعبر عن تفاعل الشخصيات والحوادث.

2. **المكان الهندسي**: هو الذي تصوره الرواية بدقة محايدة، تنقل أبعاده البصرية فتعيش مسافته، وتنقل جزئياته من غير أن تعيش فيه.

3. **المكان بوصفه تجربة**: تحمل في طياتها معاناة الشخصية وأفكارها ورؤيتها للمكان، وتثير خيال المتلقي فيستحضره بوصفه مكاناً خاصاً متميزاً، ولذلك فإن وصف المكان وحده لا يساعد على خلق الفضاء الروائي، ولا بد من اختراق (الإنسان) للمكان، والتفاعل معه، والعيش فيه، وتقديمه من خلال زاوية محددة تخدم الإطار العام للرواية، بحيث يتحول المكان نفسه إلى عنصر فاعل، كما أن المكان في تلك الأفاق يغدو محض زخرفة أو زينة، وفي أفضل الحالات يساعد على فهم الشخصيات وتفسيرها، ولكنه لا يتحول إلى فضاء.

"إن الوصف هو الأرض التي يمكن أن يبني عليها فضاء، لكن الوصف وحده لا يصنعه"⁽⁴⁾.

ولعل تسمية المكان هي أول السبل إلى بناء المكان، فتسمية المكان في الرواية تحيل القارئ في الرواية على المكان الذي يحمل الاسم نفسه في الواقع وإن كان المكان في الرواية ليس هو المكان نفسه في الواقع، ومن هنا تنشأ المفارقة؛ لأن التسمية محض وسيلة أولية باهتة لا يمكن أن تقوم وحدها ببناء المكان الروائي، "إن المكان الروائي لفظي متخيل يحيل إلى نفسه ولا يتأثر بمحاولات الروائيين تسمية باسم حقيقي بغية إيهام القارئ بمصادقية الحوادث وواقعية المجتمع الروائي"⁽⁵⁾.

تقنية المكان في رواية (وبر الأحصنة):

منذ البداية يجب الاتفاق على أن المكان في الرواية – أيًا كان شكله- ليس هو المكان في الواقع الخارجي، ولو أشارت إليه، أو عنته، أو سمته بالاسم، بل يظل عنصراً من عناصرها الفنية.

وتتعدد الأماكن وتختلف في (وبر الأحصنة) لتشمل المدن، والشوارع، والمنازل والرحم، والأماكن الصحية، وأماكن المناسبات، والسوق، والأماكن الدينية... الخ.

إلا أننا نجد الروائية قد تعاملت مع معظم الأماكن على اعتبارها مجرد إطار لا مكان حاسوباً للأحداث، باستثناء الرحم، المنزل، الشارع، ويمكن تقسيم الأماكن الواردة في الرواية من حيث الأهمية إلى ثلاثة أقسام رئيسية، هي:

1- أماكن رئيسية (محورية):

وهي الأماكن التي احتوت على محطات المهمة في الرواية وهي: الرحم، المنزل، الشارع، ومن الممكن هذه الفضاءات المكانية في البنية النصية عند نجوى بن شتوان وفقاً للطبيعة الجغرافية للرواية، والتي تفرز ثنائية ضدية تتمثل في المؤقت والدائم.

أ- أماكن مؤقتة:

وتتمثل في الرحم على اعتباره المكان الذي يسرد منه الراوي الأحداث، وهذا المكان يبقى لفترة محددة في المعتاد لا تتجاوز تسعة أشهر.

ب- أماكن دائمة (ثابتة):

وتتمثل في المنزل، الشارع، ويمكن تقسيم الأماكن الثابتة إلى قسمين:

1. فضاء مرجعي عام:

ويظهر التفاوت في الفضاء المكاني من حيث تأطير الأحداث، وتقديم الشخصيات، ومن حيث إعطاء الشخصيات بُعداً مسرحياً تتحرك من خلاله.

ويشمل هذا الفضاء الشارع الذي نراه مؤهلاً للقيام بدور الفضاء المكاني العام الذي يجمع الشخصيات، وإن كان الراوي هو من قام بتقديم الشخصيات، ورسم ملامح الشارع ووصفه، ونقل أقوال الشخصيات ملخصة سردياً.

(1) انظر المصدر السابق، ص: 32.

(2) انظر المصدر السابق، ص: 29.

(3) جماليات المكان، غاستون باشلار، ت: غالب هلسا، (المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، ط: 2، 1984م)، ص: 9-8.

(4) بناء الرواية العربية السورية، سمر روجي الفيصل، ص: 261.

(5) بناء الرواية العربية السورية، سمر روجي الفيصل، ص: 283.

ويمكن الاستدلال بالمشهد الذي تمدد فيه الراوي (الجنين) باتجاه الشارع، وأصبح يسرد ويصف الأحداث والمشاهد الذي حدثت فيه بدقة⁽¹⁾.

كما تبرز أهمية الشارع على اعتباره محوراً أساسياً للشخصية المحورية (اعويشة) من حيث أنه يمثل لها بعداً نفسياً عميقاً.

فترى اعويشة في الماضي كان الشارع يمثل لها بعداً نفسياً مريحاً، فهي كانت تخرج إليه وتلعب فيه مع أولاد الجيران⁽²⁾، أما في الحاضر فهو يمثل لها دوراً نفسياً سلبياً فكان حركة اعويشة مرتبطة بحركة الشارع.

2. فضاء مرجعي خاص:

ويتجسد في المنزل الذي يعتبر مقراً تجري من خلاله معظم الأحداث وتقام فيه، فجدد الراوي يصف المنزل وصفاً مكثفاً على اعتبار أنه مقر للشخصية المحورية (اعويشة).

"المنزل الذي أسكنه أنا أوسع وأنظف من المسكن الذي تسكنه حاملتي، فالجردان المستوطنة بئرته تعمل على تهجيرها مهما تدخل فتى الجيران في الصباح ونظف البئر منها، والظلام الذي فيه بعد ارتفاع أشعة الشمس من فنانها يصيبها بالخوف؛ لأنه يجعل الليل يهبط باكراً، وبابه يصيبها بعدم النوم لأنه لا يقفل إلا إذا استندت إليه جالون البنزين الحديدي... لم يكن لبيتها باب ولا إضاءة ولا أنيس عدا أنفاس إخوتي الصغار، كنت أكثر اطمئناناً وشعوراً بالارتياح..."⁽³⁾.

فالمنزل يمثل لاعويشة بعداً نفسياً سلبياً، فيصوره الراوي بالسجن، حيث لا يسمح لها بالخروج إلا إلى المستشفى والذي من زيارته هو الآخر في الأونة الأخيرة، فالبقاء في البيت موت، حيث تصبح الحياة مقتصرة على الأعمال المنزلية الشاقة والأكل والنوم، فعنصر الأمن والأمان يكاد يعدم فيه.

2- الأماكن الثانوية:

وهذه الأماكن لم تلعب في الرواية دوراً محورياً مهماً، كما أنها لم يتم وصفها وصفاً تقنياً ولا فنياً دقيقاً لا من قبل الشخصيات، ولا من قبل الراوي، بل لم يحدث بها تحولات مركزية مهمة، إلا أنها جاءت محطة مرور أو عبور لأحداث قامت بها الشخصيات، أو استرجاع لبعض المواقف العابرة من خلالها، وهذه الأماكن هي:

المدرسة – السوق- أماكن المناسبات (المأتم/العرس)- الأماكن الصحية (المستشفى/المستوصف) – الفرن – البلكونة – الأماكن الدينية.

ومن الممكن تقسيم هذه الأماكن في البيئة النصية إلى أماكن مؤقتة (متغيرة) وأماكن دائمة (ثابتة).

أ- الفضاء الثانوي المؤقت (المتغير):

واحتوته أماكن المناسبات (المأتم/العرس)، وقد ورد ذكر المأتم عندما قامت اعويشة بزيارة إحدى صديقاتها للقيام بتعزيتها، فيسرد الراوي ما قام من أحداث:

"دخلت حاملتي مأتماً لتعزي إحداهن في وفاة زوجها، يتطلب القيام بالواجب الاجتماعي في هذه المناسبة أن تضاهي المعزيات زوجة المتوفي في التعبير عن الحزن لفقده لمن لا يعرفه..."⁽⁴⁾.

كما ورد ذكر العرس في محطة من المحطات التي كانت قد زارتها اعويشة، إلا أنه لم يشمل على حوادث مهمة وجذرية. "في عرس (اصميدة) كان حظ حاملتي سيئاً فأحد إخوتي مرض بالانمناح أو السليم (الحصبة)... انتهى العرس وحاملتي في الحجر الصحي مع طفلها الأحب سمي والدها ولما شفي أخي وخرج للريح، أخطرت حاملتي بعرس (غزلان) ابنة أختها..."⁽⁵⁾.

ويمكن القول عند ذكر هذه الأماكن لم تقف الروائية عند وصفها، بل أنها اكتفت على سرد ما وقع فيها من أحداث، وإن كانت هذه الأحداث لم تكن ذات الأهمية الكبيرة.

ب- الفضاء الثانوي الدائم (الثابت):

ويمكن تقسيم هذا الفضاء إلى قسمين، فضاء عام، وفضاء خاص على النحو التالي:

1. فضاء ثانوي عام:

ويمكن إدراج الفضاء المكاني العام إلى تقسيمين آخرين، هما فضاء مفتوح بإطلاق، وفضاء مفتوح بقيد.

أ. فضاء عام مفتوح بإطلاق:

جاءت هذه الأماكن مفتوحة عن العالم، دون حصول سبب معين يفرض الدخول لها، أو قيد يمنع زيارتها. وتمثلت هذه الأماكن في السوق، الفرن، المقام الأسمرى.

(1) انظر الرواية، ص: 162-164.

(2) انظر الرواية، ص: 120.

(3) الرواية، ص: 116.

(4) الرواية، ص: 105.

(5) الرواية، ص: 135.

فورد ذكر السوق على اعتبار أن الجد هو من يقوم بالتموين العائلي⁽¹⁾، أما الفرن فارتبط بابنة اعويشة عندما تقوم لتحضر الخبر منها⁽²⁾، والمقام الأسمرى يعتبر محطة من المحطات التي قامت اعويشة بزيارتها⁽³⁾. ويمكن القول أن هذه الأماكن لم تكن محورية وحاسمة بالنسبة لتطور الأحداث، وفي الوقت ذاته لم تقف الرواية على وصفها، كما أن هذه الأماكن قدمت من خلالها الرواية أحداث لم يرتبط (الفرن – السوق) ب اعويشة، باستثناء المقام الأسمرى.

ب. فضاء عام مفتوح بقيد:

يشتمل على الأماكن الصحية (المستشفى – المستوصف) – المدارس، وإن كانت هذه الأماكن مفتوحة عن العالم، إلا أنه يظل هذا الانفتاح مرتبط بسبب (قيد) يمكننا من الدخول إليها أو زيارتها. فورد ذكر المستشفى عندما قدمت الرواية نصيحة لقراءتها تعبر فيها عن مدى الخدمات الصحية التي تمتاز بها، والمؤهلات وكفاءات الأطباء التي تمتلكها المستشفيات⁽⁴⁾. وقد قدم المستوصف عندما نقلت اعويشة إليه عندما مرضت نتيجة للأعمال الشاقة والمرهقة التي قامت بها. أما المدرسة فجاء ذكرها في حديث الراوي عن المراحل الدراسية، وطبيعة الدراسة في مدارسنا، دون الدخول في أوصاف جغرافية للمدرسة⁽⁵⁾.

2. فضاء ثانوي خاص:

ويشمل على البلوكنة، والمزرعة بمسمياتها المختلفة على نحو السانية والحوازة، فالبلوكنة لم تمثل مكاناً محورياً (رئيسياً)، إلا أنها تظل محطة ثانوية في الرواية، فجاءت أثناء وصف الشارع من خلال الفتاة التي كانت تطل خلالها. والمزرعة ارتبط ذكرها مع ذكر قيام الأبناء بالذهاب إليها بصحبة جدهم، أو والدهم للقيام ببعض الأعمال الفلاحية بها. ونلاحظ في هذين الفضائين أنهما لم يتعلقا ب اعويشة أو بالجنين، ولم يرتبط ذكرهما بأحداث مهمة تأثر في سير الأحداث.

3- أماكن مهمشة (مهملة):

وهذا النوع من الأماكن ورد ذكرها في وبر الأحصنة فقط، لم تقف عنده إحدى الشخصيات في الرواية. وهذه الأماكن هي:

ليبيا – مصر – موزنيق الصين – فزان – درنة – اجدابيا – طرابلس – أوروبا – بريطانيا – الحمام – الصالة – الحومة – النافذة – الخزانة – مكتب تأجير السيارات – العمارات – البئر – الصحراء – التلال – كرسي الملك – البلدية – صالة المشاهير – شارع جهنم.

وعلى اعتبار هذه الأماكن كانت مهمشة (مهملة) لا تحمل قدراً من الأهمية، نكتفي بحصرها وذكرها فقط، دون الإشارة إلى الهدف التي جاءت من أجله في الرواية.

والجدول الإحصائي التالي يوضح الفضاءات المكانية في الرواية:

فضاءات مكانية رئيسية	فضاءات مكانية ثانوية	فضاءات مكانية مهمشة (مهملة)
الرحم	أماكن المناسبات (المأتم-العرس) أماكن صحية (المستشفيات – المستوصف)	ليبيا – مصر – بريطانيا – موزنيق – الصين – طرابلس – اجدابيا – فزان – درنة – الحومة – العمارات – مكتب تأجير السيارات – الجابية – الحمام – البئر – الصالة – الخزانة – النافذة – الصحراء – التلال – كرسي الملك – البلدية – صالة المشاهير – شارع جهنم – الرصيف – أوروبا
المنزل	السوق الفران المدارس البلوكنة	
الشارع	المزرعة المقام الأسمرى	

(1) انظر الرواية، ص: 109.

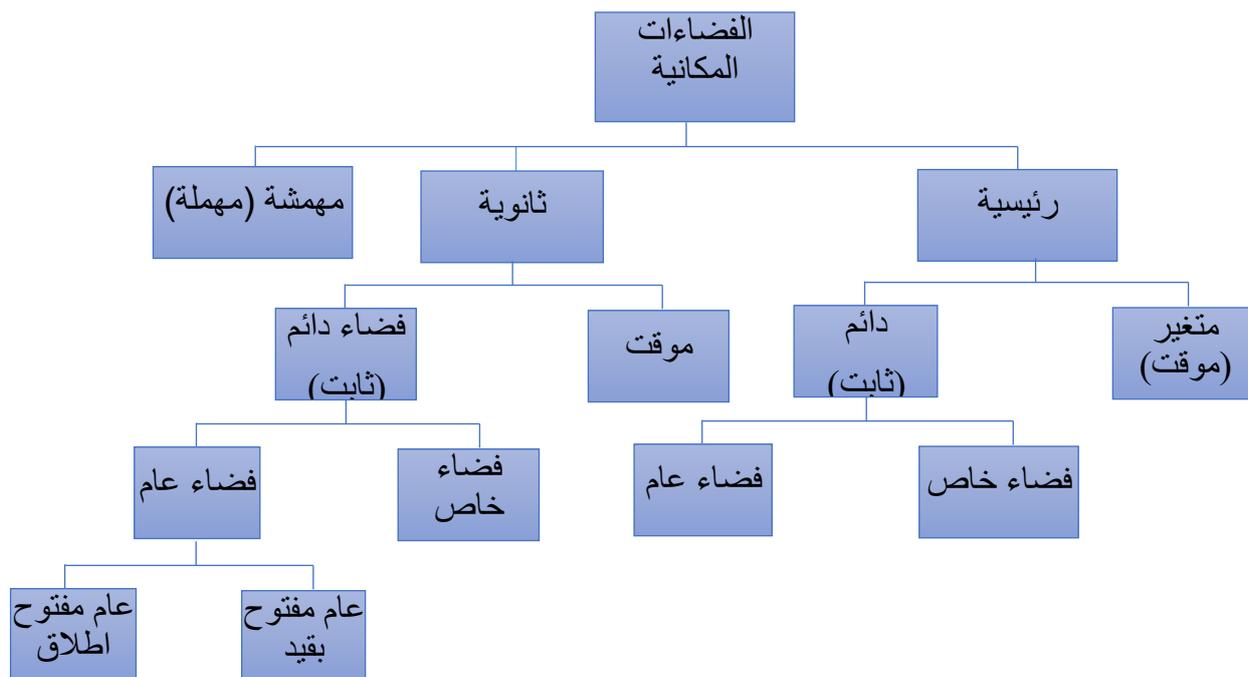
(2) انظر الرواية، ص: 104.

(3) انظر الرواية، ص: 107-108.

(4) انظر الرواية، ص: 107.

(5) انظر الرواية، ص: 137-138.

وهذا المخطط يوضح شكل الفضاءات المكانية:



الخاتمة

بعد هذه الدراسة المتعمقة تعاملاً مع المكان بوصفه بنيةً أو تركيباً مستقلاً بمكوناته وبعد النظر عن مرجعية الرواية خلُصت إلى عدّة نتائج هي:

- 1- أنّ المكان من أهم العناصر المشكلة لجمال النص لما يولده من شحنات عاطفية تبرر ارتباطه بالشخصيات وبقية عناصر السرد.
- 2- المكان يساهم في رسم أبعاد الشخصيات ويمكن أن يقال في (وبر الأحصنة) أنها صورت لنا أحداث وأشخاص المجتمع الليبي في حقبة زمنية معينة.
- 3- وضعت الأماكن في الرواية وصفاً لبعض الأماكن التي كانت ومازالت راسخة في ذاكرة المواطن الليبي والترابط بين أفراد المجتمع.
- 4- أن المكان يعكس لنا حقيقة سلوكيات المجتمع والعلاقة الحميمة التي كانت تربط الليبيين.
- 5- تصوير المجتمع الذكور، وكافة ألوان القمع والاستبداد.

هذا والله وليّ التوفيق.

المصادر والمراجع

- 1- بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمن – الشخصية)، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، بيروت – الدار البيضاء، ط1، 1990م.
- 2- بناء الرواية السورية، سمر روجي الفيصل، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 1995م.
- 3- جماليات المكان، غاستون باشلار، ت: غالب هلسا، (المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، ط2، 1984م).
- 4- دراسات في بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ) ، سيزا أحمد قاسم، (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ، مصر . ط 1 . 1984
- 5- وبر الاحصنة (نصوص في التكوين والنشأة . رواية نجوى بن شتوان . مركز الحضارة العربية . مصر . ط 1 . 2007 .